Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قرطبة ندوة، كان يختلف إليها بعض الشعراء والكتّاب، ويختلف إليها معهم ابن زيدون، وأحبَّها، وبادلته كما يقول الرواة حبًّا بحب، ثم أخذت تجفوه، حتى استشعر منها اليأس إلى الأبد، وشعره فيها يمثّل هذه المراحل الثلاث، مرحلة يصوّر فيها سعادته بالحب، ومرحلة يصوّر فيها شقاءه بالجفوة، ثم مرحلة يصوّر فيها يأسه القاتل. ونراه فى هذا الغزل كله، وخاصة فى المرحلتين الأخيرتين يستمدّ من غزل عشاق العرب، وما بثّوا فيه من لوعة وحرقة مضنية، وحنين دائب لا ينفد معينه. وكان منذ تفتحت موهبته الشعرية يوقّع أشعاره على قيثارة الشعر العربى العتيقة، وهدته شاعريته إلى أن يتخذ من البحترى أستاذًا له، مما جعله يعنى أشدّ العناية بأنغامه وألحانه، وتصادف أنهما تشابها فى تجربة الحب، فقد أحبَّ البحترى فى شبابه عَلْوَةَ مواطنته الحلبية، وبادلته مودّة بمودة، ثم جفته وسلت عنه إلى الأبد، كما سلت ولّادة عن ابن زيدون. وظلت ذكرى علوة لا تبرح خيال البحترى، وظلّ يهديها غزلياته باثًّا فيها حبّه ويأسه وحنينه الظامئ إلى لقائها، تارة يفرد لذلك بعض المقطوعات، وتارة يضمّن حبّه مقدّمات قصائده، بالضبط كما صنع ابن زيدون وهو بقرطبة وبعد أن بارحها إلى إشبيلية وغيرها من مدن الأندلس.

وعلى هذا النحو تشابهت تجربة البحترى وابن زيدون فى الحب، وأهم من ذلك أن ابن زيدون اصطفاه واصطفى إيقاعه الموسيقى لنفسه، ولاحظ ذلك معاصروه، فسمّوه بحترى الأندلس، إذ مضى ينهل من ينابيع شعر البحترى الموسيقية، متمثلًا لها أروع ما يكون التمثّل، حتى لكأنما بُعث البحترى من جديد، أو لكأنما عثر على نفس قيثارته، وإذا هى تمدّه بنفس الألحان ونفس الأنغام. ويعود القدماء مرارًا إلى بيان العلاقة الوثيقة بين الشاعرين ملاحظين أن ابن زيدون أخذ من البحترى فى بعض أبياته هذا المعنى أو ذاك. ولاحظوا – كما مرَّ بنا فيما لاحظوا – أن قلادة ابن زيدون الكبرى:

أَضْحَى التَّنائى بديلًا من تَدانينا ونابَ عن طِيبِ لُقْيانا تَجافينا

إنما نظمها على نمط قصيدة البحترى: